

إن من بين المعوقات التي تمنع الكثير من طيبي القلوب وحسنى النية من متابعة تأييدهم ومشاركتهم للأعمال المؤثرة في حياة البشر هو أنهم يعيشون حالة من التسامى مع الأفكار والمبادئ ويشعرون بجمالها وهي تحاور على الورق أو تناقش في الندوات والجلسات الممتعة لكنها حين تخرج من حيز القول والإعتقاد إلى عالم التطبيق والحقيقة فإنهم يصابون بالصدمة النفسية إذا لم يكونوا يربطون بين جمال الأفكار المجردة وبين صورتها الواقعية والعملية وهؤلاء على الدوام يخسرون التأثير وكذلك يكثر اللوم والتقريع حين يأتي شيخ ويتحدث عن حكمة وعظمة التشريع في حد الزاني المحصن وأن الرجل أو المرأة يشدان إلى ثيابهما ويوضعان في وسط الناس وتحضر لهما الحجارة فيقوم الناس برمي الزاني والزانية بهذه الحجارة حتى يتم موتهما هذا المنظر بكل إنفعالاته الواقعية، وبكل ما يحمل من مدلولات وتأثيرات على النفس، إذ عليك أن تتصور صراخ المحدودين ونزيف الدماء وصياح الناس، وتقوت النفوس في رؤيتها لهذا الحدث، فهذا محب للمرجوم فهو يبكي على حالته، وقد تضطرب نفسه فيصاب بما يصيب أمثاله إن كان من ضعاف النفوس في موقفه أمام هذه الأحداث فقد يشهق شهقة، وقد يرتفع عويله وصراخه فيقع منه الهذيان وقد يجتمع أطفال الزانية أو أولاد الزاني فيكون فقيدهم، مثل هذه الصور قد لا يستطيع الشيخ الذي يتحدث عن عظمة التشريع وحكمته أن يواصل النظر إلى الحدث حتى نهايته، وقد لا يطبق رؤية الدم وهو يخرج كالنافورة من رأس المرجومة فيصاب بالغثيان أو يخر صريع الغيوبية، فهناك فارق كبير بين جمال الأفكار وبين واقعيتها حين يتحدث الناس عن الجهاد في سبيل الله تعالى فهذه كلمة جميلة، وجميلة جدا الجهاد في سبيل الله تعالى ولكن واقع الجهاد ليس جميلا كله في كل أحداثه، فالجهاد ليس هو هذه الخطب الرنانة، وليس هو تلك الكلمات الجميلة وليس كله غنائم وسبايا، وليس كله نصر مؤزر، وليس كله خطب نارية، بل فيه موت الحبيب، وفيه جرح الصديق، وفيه تطاير الأشلاء وفقد المال، وفقد المعين وبمعنى آخر فيه جانب من المشقة، بل المشقة العظيمة، ثم فيه إختلاط الجنود وحصول الخصومات بين الناس، فهذا ضرب هذا، وهذا خاصم هذا، وهذا شط على هذا فهو حركة بشرية، وفيه أخطاء وإجتهادات وتأويلات بعضها يستساغ وبعضها ليس كذلك، فهناك حد فاصل بين جمال الفكرة وسموها وبين واقعيتها لو أخذنا تصور الناس وخيالهم لواقع الدولة الإسلامية لوجدنا أنها أقرب ماتكون إلى أذهانهم إلى عالم الأحلام، عالم ملئ بالصور الجميلة والفرشات الطائرة، والألوان الزاهية والسماء تنزل غيثها على الدوام، والضرع ملئ في كل حين، والأعداء يخافون جانبنا لما يعلمون من نزول الملائكة معنا في القتال، فهم يتصورون دولة الإسلام التي لا فقير فيها، ولا مريض فيها وكل من طلب شيئا فهو بين يديه، ولكن لو نظرنا لدولة النبي صلى الله عليه وسلم لما وجدنا هذه الجنة، بل لوجدنا أن معاناة الصحابة رضى الله عنهم في دولة الإسلام في المدينة أشد من معاناتهم وهم في مكة.

فهل حصل للصحابة رضى الله عنهم في مكة ما حصل لهم في غزوة الخندق إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هناك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا في دولة الإسلام زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وإبتلاء كالزلازل بل هو الزلازل نفسه قارن بين هذه الصورة وبين الصورة التي يحاول رسمها مشايخ هذا الزمان لدولة الإسلام، فهم يعدون الناس بالدولة التي لا خوف فيها ولا مشقة، بيت لكل إنسان، طعام لكل بطن، والناس يدخلون في الإسلام لمجرد رؤيتهم لنا ولدولتنا، وعلى هذا فالناس يأتون إلينا إلى جماعتنا لأن في أذهانهم أننا الحزب الذي سيؤمن لهم من النعيم الدنيوي أكثر

مما تؤمنه الأحزاب الأخرى لكن لو قلت لكم: إن ثلاثة من الخلفاء الراشدين ماتوا قتلاً، وعلى يد أناس لم يحتاجوا لكثير من التخطيط لقتلهم فعمرو بن الخطاب رضى الله عنه قتله عدو الله أبو لؤلؤة المجوسى وهو قائم فى صلاة الفجر، بين يدي شيوخ المسلمين و علمائهم وقادتهم ورؤسائهم، عثمان بن عفان رضى الله عنه إنطلق الهوجاء وسيطروا على المدينة حتى دخلوا وهو يقرأ القرآن على الخليفة الصائم رضى الله عنه وذبحوه فى بيته وهو يقرأ القرآن، على بن أبى طالب رضى الله عنه قتل فى وسط المسجد وهو قائم يدعو الناس إلى صلاة الفجر، وبين طائفة يأتيه ابن ملجم الخارجى، فيضرب هامته بالسيف بتصرف فردى وبإتفاق مع آخرين على قتل معاوية وابن العاص وهذا عصر الخلافة الراشدة وما أدراك ما بعده ولذلك علينا أن نقول: إن الذين يتصورون عالم الإسلام العملى حركة المرء المسلم فى الحياة هو عالم لايمت إلىعالم البشر، وهو خارج عن حركة الحياة برمتها هؤلاء واهمون ويعيشون تهويمات وخيالات فبمجرد اصطدامهم بالصورة الحقيقية لهذه الحياة ستجدهم ينقلبون على أنفسهم يعلنون إعترالهم وعدم قدرتهم على تحمل هذه الحياة، إن العيش مع الكتب وبين الكتب ومع الأفكار والقلم والورق ليس هو الإسلام إنما الإسلام هو حركة الحياة حركة البشر الإنسان بما فيه من صواب وخطأ، فالصواب يقوى ويدعم، والخطأ يقوم ويصلح، فعالم الإسلام العملى فيه الصواب وفيه الظلم، فيه الصدق وفيه الكذب، وكل له مقامه فى الإسلام الإسلام يعترف بوجود الخطأ كونا ولا يلغيه فى الخلق والوجود ولذلك أنزل الله تعالى الحدود وأنزل العقوبات، وأنزل الأحكام والخطاب الربانى فى ذلك كله للمجتمع المسلم الموحد المجاهد وليس هو خطاب لغير المسلمين على الرغم أن عصر الفتنة بين على رضى الله عنه وخصومه عائشة ومعاوية رضى الله عنهما هو عصر نكل فيه أصحابه إلى الله تعالى، ولا نقول فيه إلا ماجاءنا عن رسول الله صلى الله عليه؟ سلم من أحكامه كقوله صلى الله عليه؟ سلم لعمار: تقتلك الفئة الباغية وغيره من الأحاديث، لكن لو حاولنا إستطلاع ورؤية الواقع عن قرب وهو عصر مبكر وقريب من القرون الخيرة بل هو منها لرأينا هو لا، ولرأينا من الأمور التى تشيب لهولها الأطفال، أنظر الخوارج أربعة آلاف رجل مقاتل قرروا قتال على رضى الله عنه وثلاثة آلاف فى الكوفة قرروا عدم قتاله ولا القتال معه طلب منهم على رضى الله عنه أن نمضى إلى قتال عدونا وعدوكم معاوية، لكنهم يرفضون حتى يعلن إعترافه بالكفر والتوبة عنه فيقيم لهم على رضى الله عنه ملحمة فى النهروان بعد قتلهم عبد الله بن خباب بن الأرت وزوجته الحامل، فقتلهم ولم ينج منهم سوى 400 رجل جريح معركة الجمل فى الخريبة قرب البصرة حسب رواية عمر بن شبة وهى معركة بين مسلمين بل بين القبائل نفسها مضر ضد مضر و ربيعة ضد ربيعة ويمن ضد يمن إخوان فى الدين والمنهج والنسب وقتل فيها طلحة والزبير المبشرين بالجنة معركة صفيين بين على ومعاوية رضى الله عنهما ، معركة حصل فيها مجزرة مع أن بعض الناس حرضوا على الصلح وقالوا من لثغور الشام بعد أهل الشام؟ من لثغور العراق بعد هلاك أهل العراق؟ من للذراى والنساء، ألا تذكرون الأرحام؟ وبعيدا عن ضعف الروايات التى ذكرت الهول فى القتلى لكن بلاشك أن القتل كان عظيما، ردة بعض النصارى بعد إسلامهم حتى قالوا: والله لديننا الذى خرجنا منه خير من دين هؤلاء الذى هم عليه ماينهاهم عن سفك الدماء وإخافة السبيل وأخذ الأموال "الطبرى" وقاتلهم على على الردة ثم بعد ذلك كله عام الجماعة، ثم حرب عبدالله بن الزبير، ثم... ثم

فهذا جانب من حركة الإنسان أى إنسان لاينبغى أن ينسى أو توضع عليه الأيدي لنفهم الناس أن حياة المسلم كلها قيام ليل وصيام نهار، وعفو متكرر، وعطاء متكرر وخير دائم حتى إصطبغت صورة الولى فى خيال الإنسان المسلم على هيئة الغاز المثالى الذى لا وجود له أنظر "المتهاجرون" أى من مات من الصحابة والتابعين وهو مهاجر لصاحبه حتى مات فى المعارف لابن قتيبة ص550

الولى هو إنسان... وهو... بشر المجاهد هو إنسان... وهو... بشر أما تصوير صورة الإسلام  
العملى وعالم الإسلام والمسلمين على صورة أفلام الكرتون أو عالم الجن والملائكة فهى صورة  
تهين الإسلام أكثر مما ترفعه إننا نقول هذا لأولئك القوم الذين يعطلون عظام الأمور ويوقفونها  
لمجرد بعض الأمور الصغيرة فحساسيتهم أمام الأخطاء تجعلهم يضعون العصبة على عيونهم  
لحجبها عن رؤية الخير والفضل الإلهى، إن الجهاد فى سبيل الله تعالى حركة بشرية وحركة من أجل  
السلطان والملك، ففيه تتداخل كل انفعالات الإنسان، ومن دعا للسيف أو حرض على السيف فلا  
ينتظر أن يناقشه الناس ويحاربوه بالخطب الرنانة والورق الصقيل بل عليه أن يحضر نفسه  
ليذوق حر السيف، هذه سنة الله تعالى وللذكر فإن الخلفاء الثلاثة الشهداء ما ماتوا بيد الكفار بل  
ماتوا بيد مسلمين فسقة مبتدعين فأبو لؤلؤة الفارسي ليس من أهل الشرك ومحاولة لإثبات مجوسية  
دونهما خرط القتاد وإن نسب إليها وأبو ملجم من الخوارج ولم يكفر أوائلهم إنما الخلاف فيمن  
أتى بعدهم والثائرون على عثمان بعض قاداتهم صار من قادة جيش على رضى الله عنه، ولذلك  
من وضع رجله ويده فى هذا السبيل سبيل إعادة سلطان الله تعالى على الأرض بالجهاد فى سبيل  
الله تعالى، ووقف نفسه للتحريض ضد الطواغيت، وإزالة عروشهم، ودك طغيانهم فهذا رجل  
نهائيه معلومة، وإن لم يحضر نفسه لذلك فهو رجل مستريح أى لا عقل له فهذا طريق نهايته إما  
برد العدل أو حر السيف نعم يسعك أن تنشئ مجلة أو نشرة لتكون حزبا معارضا، وحزبا ترقيعيا  
تطلب الإصلاح وتنتظر الفرغ بإخراج المساجين، أو موت ملك ليأتى غيره فربما يكون  
خيرا منه، فحينئذ أمرك سهل وهين، فأنت رجل سياسة وكلمة وملفك عندهم لا يعدو أن تكون  
معارضا محترما أى تحترم حدود المعارضة السياسية أما وقد قلت: الجهاد والقتال فما عليك إلا أن  
ترتقب، فلست أنت بخير من أسلافك الأخيار ولست أنت بخير من أقرانك فليس عبد الله  
عزام عنك ببعيد، وليس الشيخ عمر عبد الرحمن عنك ببعيد وليس الشيخ أبو طلال القاسمى  
عنك ببعيد، وليس الشيخ أنور شعبان ببعيد وليس أبو عبدالله أحمد عنك ببعيد، وليس  
سفر الحوالى وسلمان العودة عنك ببعيد وليس...؟!  
القائمة طويلة يا عبدالله وكفيك هذا فهذا أمر تشيب له الولدان، وليس له إلا الرجال ففكر كثيرا قبل أن  
تخوض، وأياك أن تقول لقد ورطونى، فما ورطك أحد، فنحن لم نضمن لك حصول الوزارة  
والمنصب ولم نضمن لك ملائكة تجاهد معك لا يخطئون ولم نضمن لك مسدسا ينزل من السماء  
يعرف المؤمن من الكافر والسنى من البدعى، ولم نضمن لك نبيا قائدا يوحى إليه، فقد نقول  
لك اليوم قولا ونرجع عنه غدا، ونقول لك هذا ما رأينا، وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب  
حافظين، فإن أردت الغاز المثالى أصعد القمر، فإن أعجز كف الكثير من الناس قد سلكوا سبيل  
السلامة وجلسوا كالعصافير مع أبنائهم فى أعشاشهم، يأكلون ويشربون ويرقبون الحياة من وراء  
زجاج بيوتهم، هذا فى وقت المدافع، فإذا سكنت سيخرجون علينا بمواعظهم العظيمة ليقولوا لنا: لقد  
قلنا وقد توقعنا... وقد أذرنا... وقد... وقد.. السنة طويلة نسأل الله تعالى قطعها سلقوكم بالسنة  
حداد أشحة على الخير إن الكثير من المقعدين يتقنون نقد لاعبى كرة القدم، ولكنهم أصحاب أصوات  
عالية فى قيادة المعركة على كرسى النظارة وهم يعرقون، ويتصببون عرقا وتبج أصواتهم لكنهم  
ليس لهم من اللعب إلا الوصف.